بلاغ راحل

بيان فقيد الشرق المأسوف عليه العلامة المرحوم جرجي بك زيدان

جدّ بيتي في قفوا يا رفاقي نقض فرض الوداع قبل الفراق
لا تقولوا « جورج مهلاً » وداعي الى موت يعدو اليّ عدو البراق
أنظروهُ مفاجئاً لي واني شاعرٌ ببلوغ روحي التراقي
ليس في طاقتي التحامس منهُ بعدما شابَ وشدّ وثاقي
جاءني مزهقاً لروحي فتغدو عن قليل في قبضة الإزهاق
أدركوني وأحدقوا بي وأصغوا لبلاغي الاخير قبل انطلاقي
اين اهلي ؟ فتشت عنهم لألقى واحداً منهمُ ولستُ بلاقي
لستُ ألقى من سامع لندائي منقذٍ لي من الردى او واقي
اين ابنيهم فمدّ سريعاً وبعنقي تحيط كالأطواق
اين امي تقول « ها انا يا ابني » وتليني عند لفظ الشاقي
اين عرسي تقول « تفديك نفسي يا رفيق الحياة خير ارتفاق »
اين امي ترى اباها عليهِ اطبق الموت ايّما إطباق
اين باقي الاولاد يا قوم والاخـ ـوة والاقرباء اين الباقي ؟
كلهم غائبون عني ومنهم لا أرى واحداً على الإطلاق
بعضهم نمّ سقامٌ فأمّوا طود لبنان لابتغاء الترياق
ودعوني وهم يرجون مثلي عن قريب يطير الفراق تلاقي
خاب منّا هذا ارتجا وسعاني في الثلاثي صارت الى إخفاق
فافترقنا وما دروا قطّ اني سوف اقضي من نوعة الافتراق
ما دروا انهم صنوني سعيداً من نواهم فكان فيها احتراقي

ذبتُ من نوعتي وشدة وجدي وحنيني اليكمُ واشتياقي
وسيبدو منعاي فيكمُ منقر لا بسلك الإرعاد والابراق
وسيغدو عليّ فرط اسفكم مضرباً للامثال في الآفاق
وستبكوني بدمع غواد ان سحب تروي عنهُ حديث لماقي

وتعاطون من كؤوس الرزايا صاب بيني بكأس بنت دهاق
وسيرثي ازاتون فقدي وإما ينصفوا يأتوا ما به استحقاقي
يذكروا خدمتي الجليلة للعلم وعزمي الماضي وجدي الراقي
يذكروا همتي التي ما درت في ال صعب معنى للبهظ والإرهاق
يذكروا انني جعلت حياتي وقف أم اللغى بلا إغراق
يذكروا نهضتي لها واجتهادي في بلوغي بها لاعلى المراقي
خضت منها عباب بحر خضم غصت فيه حتى الى الاعماق
وبأغلى جمانها رنت كتبي ماك بكنوزها أوراقي
لم ادع مجالاً من البحث الا ردت أقصاه مبدعاً في السياق
فاحصاً عن اوضاعها والمباني باحثاً في التصريف والاشتقاق
فاتحاً في آدابها باب بحث كان من قبل محكم الإغلاق
وبتاريخ اهلها حزت سبقاً لم يحزه سواي يوم سباقي
وبنو مصر والحجاز شهودي كتبي الشام مع اهالي العراق

كلهم يذكرون فضلي باجما ع ويطرون خدمتي باتفاق
يذكروني ما لاح نور هلالي في سما الشرق ساطع الإشراق
منذ ما هل صار بدراً وهذا ال بدر باقي ما شابه من محاق
وسيبقى بعدي كما كان نجل بسناه بقية الاعناق
ذا رجائي يا ابني اميل فعدني حافظاً سبق تحقيقه ميثاقي
صنه بعدي وارمقه دوماً بعين ال حرص والاعتناء والإشفاق
هذه خطتي لديك اتبعها وتعمد في ذا السبيل لحاقي
وتأسّ بي الملا وترسم خطواتي مثلاً اخلاقي
وامح نحوي في ما تحط ووانق فيه بين الامال والاذواق
واجعلن الهلال مطلع انوا ر اتحاد وألفة ووفاق
لا تجز نشر كلمة فيه تثري قارئيها بغرة او شقاق
وسلام اليك مني فإني عنك ماض سبحان ربي الباقي

سوق الغرب — اسعد داغر